صاحب المجلة
ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
علي الخاقاني
العنوان : البيان : النجف : العراق
لاتعاد الرسائل نشرت ام لم تنشر
المقالات
يجب ان تكون خالصة الأجرة
وبأسم صاحب المجله

البيان

مجلة اسبوعية ادبية اجتماعية جامعة

تصدر مرتين في الشهر موقتاً

الاشتراك يدفع سلفا
١٥٠٠ فلس داخل النجف
٢٠٠٠ خارج النجف
٢٥٠٠ خارج العراق
١٠٠٠ للتلاميذ
٢٠٠ الاعلانات الرسمية للعقد الواحد
الاعلانات التجارية يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٨ : النجف ١٥ مارت ١٩٤٧ م — ٢٤ ربيع الثاني ١٣٦٦ هـ السنة الاولى

مؤاخذتنا على الدكتور البصير

— ٥ —

٢ — الشيخ عباس المدعلي

والآن نعود فنسائل الدكتور عن رأيه في المترجم له وسرده للروايات التي تتعلق بغرامه وهيامه بابنة استاذه السيد حسين بحر العلوم .

لا ادري كيف اناقش الدكتور عن هذه الناحية التي وقف امامها موقف الحيران في الوقت الذي نراه اعلن عن عقيدته وجعلها عنواناً لما كتب عنه بقوله :— الشاعر العاشق — وأكد ذلك باثباته بيتين للشيخ عباس خاطب بهما استاذه هما :

يا أيها المولى الذي فاق الورى بمآثر ومفاخر لا توصف
اشكو اليك هوى حبيب ظالم عرف الهوى لكنه لا ينصف

نراه يرتبك فيقول : (وفي هذه المرحلة من علاقة التلميذ باستاذه تتضارب الاقوال تضاربا عجيباً وتتناقض الاخبار تناقضاً غريباً) واخذ يقص علينا تلك الاقوال المتضاربة ؛ ويثبت لنا تلك الاخبار المتناقضة من دون أي مستند يفرض على القاري الايمان والوقوف على حقيقة . ولا ادري هل يعسر على الكاتب الباحث عندما يحاول ان يسرد اخباراً بلهجة قيل ؟ وهل ان القول الذي يتجرد من مصدر اما سماعي موثوق به أو تدويني معترف له ؟ وهل بعد قول الدكتور : وهنا تتضارب الاقوال ؟ تبقى خرمة لهذه الاخبار . مع ان اعلام الرواة تسالموا على أن الاخبار اذا تضاربت ولم يحصل الباحث على مؤيد يعضد واحداً منها لا يعمل بالجميع للمثل المعروف (تعارضا تساقطا) . مع ان اللهجات التي ذكرتها يا دكتور تعلمك جيداً انها مختلقة ومرتبكة .

أما (العراقيات) فهو كتاب ملفق لم ينطو على تحقيق ولا على ضبط ، فقد ألف كمجموعة للتسلية وبدافع لا نقوى على التصريح به إذ لا فائدة فيه . واما قولك : (وهذه هي رواية « الدرر البهية » وهو كتاب مخطوط لاديب من آل بحر العلوم عني بسيرة الشيخ عباس وشعره وقصة غرامه وزواجه عناية خاصة) ؛ لا ندري من هو هذا الاديب من آل بحر العلوم مع اننا نحيط خبرا بمعرفتهم وهم في النجف كثيرون . ثم لم لا تصرح باسمه كمؤيد يسندك وكراوية تلقي المهدة والتبعة عليه . في الوقت الذي الححنا بالسؤال منهم فلم يصرح لنا واحد بذلك كما ازيدك علماً انهم ناقمون على هذا الخلط والخبط والخروج على كرامتهم باثباتك هذه القصص المرتبكة .

واما اثباتك الرواية الثالثة الهزيلة التي تهرب عن ضعفها وتجردها عن تصوّر كل عاقل (إنه اهين من قبل اولاد استاذه الأربعة ومن بينهم السيد ابراهيم الشاعر المعروف وضربوه ضربا مبرحا لحمله على الكف عن طلب يد شقيقتهم ؛ وان والدهم حزن لذلك وعدّ عملهم فضيحة لا مجال للتخلص من عارها إلا بالخروج

من النجف) . واندفعت يا دكتور تبدع في التصوير والبسط لهذه الرواية برواية اخرى تبرر هـــذا الصنع وتؤكد الدافع الذي من اجله وقع هذا الحادث بقولك : (ان السبب الحقيقي الذي دفع ابناء السيد حسين الى الاعتـداء على الشاعر هو أن والدهم كان قد تزوج شقيقته ، وان هذه قد حظيت عنده حظوة باعدت بينه وبينهم فارادوا أن ينتقموا منها باهانة أخيها وضربه والحيلولة بينه وبين شقيقتهم) مدعياً ان هذه الرواية اخذت لك عن اديب من آل بحر العلوم . ولكن لا ادري هل هو ذلك الاديب نفسه أم غيره ، ولماذا لم تصرح باسمه ، وآل بحر العلوم كلهم ادباء فمن تعني منهم ومن تقصد .

كان عليك يا دكتور ان تتصور كل هذا قبل أن تثبت هذه الروايات الملفقة ، وتتصور ايضاً سيرة السادة آل بحر العلوم ومكانتهم من وسطهم وانهم فيصل لكل خصومة آنذاك تقع بين سائر الطبقات ، كما كان يجب عليك ان تتصور منزلة السيد حسين ونجله السيد ابراهيم ومكانتها من نفوس سائر النجفيين ، واسرة كريمة كهذه لا يسوّغ لها شرع المنطق ان تصنع هـذا الصنع المنتقص بانسان اديب عالم له قربـه كما ذكرت منهم ، وله احترامه وحشمته من قبل معظم العراقيين إذ ذاك ؛ وكيف تؤمن بوقوع شذوذ كهذا لا يؤمل أن يقع إلا من افراد عرفوا بالتمرد والاستهتار والخروج على التقاليد الاجتماعية والاتزان المطلوب من كل عاقل ؟ كيف تتصور ان تقع هذه الحادثة من افراد كان قد رمقهم مجتمعهم بعين الاكبار والاجلال فيضحوا بكرامتهم وسيادتهم من اجل ارضاء عاطفة هوجاء لا يعتنقها إلا الساذج السخيف الذي جعل نفسه غرضاً لسهام المنتقدين .

لقد قيل ان التاريخ مغرض لأنه يعبرّ عن الاغراض الشخصية على الاكثر ، فلم لا تصورت يا دكتور بعد اطلاعك على هذه الروايات المتناقضة انها مفتعلة ومختلقة ، وانها أساطير كما زعمت ، ولم لم تكتفي باخذ مقياس شخصية المترجم له من اقرانه الذين ذكرناهم في النقدة الرابعة كما تتصور مبلغ آل بحر العلوم من النفوس واعتدادهم القوي بالكرامة وحب الذات ، وتدرعهم بالفضيلة والعلم ؟ أن تحاشوا من وقوع امثال هذه المنكرات بنظر العقل والرأي العام ؟ ولم لم تعدل بتاتاً عن الايمان بهذه الروايات بل تذهب الى تدعيم بعضها من شعر الشاعر معتقداً صحـة بعضها لقوله :

ألست بكم اكابد كل هول واحمل في هواكم كل هون

جاعلا من هذا البيت دليلا ناصعاً تصول به على تشخيص الحادث وتحقيقه (وان غرامه بابنة استاذه خلق له المتاعب وعرضه لشيء من المذلة والهوان) . ناسياً ان الشاعر اذا تغزل يتواضع وينزل نفسه منزلة الاسير والعبد والسائل المستجدي ، والهائم الذي فقد الرشد ، والذليل الذي فقد العزة ، وهل تحتاج الى سرد الشواهد وانت دكتور في الآداب . ثم تتدرج في تحليلك واستنتاجك من شعره بتصحيح الروايتين الأولى والثالثة من قوله :

وان يك دونها شرفي فاني لأحسب هامة العيوق دوني

فمن مثلي بيوم وغى وجود وأي فتىً له حسبي ودیني

لا أدري كيف ينظم الشاعر اذا لم يهيأ له صورة تغالط مشاعر القارىء وتسحرها ليتخيل ان ذلك واقع أو شبيه بالواقع وهـذا الادب العربي قـد ملأ بهذه الصور خاصة بالغزل الذي يجعلك تؤمن باجتماع الحبيبين أو اخذ الوعد واللقاء والحذر من الرقيب وذكر الأمكنة التي يجتمعون بها وما الى ذلك من صور توهم السامع ان لها حقيقـة وان لها نصيب من الواقع . فهل ان ذلك واقع وصحيح ؟ أو انه خيال بحث . اعتقد ان ذلك كاف لمناقشتك حول هذه النقطة .

أما قولك في ص ٢٠٣ و ٢٠٤ عند اثباتك البيتين :

نفسي فداء سيد حبـــه اعددته ذخراً لدى النشأتين

لا غرو ان صرت فداء له فاني العبـاس وهو الحسين

معلقاً عليهما بقولك : (وقد غبرا على هذا حيناً من الزمن إلا ان الظروف شاءت أن تتطور العلاقة الودية السليمة التي تربط أحدهما بالآخر تطوراً عجيباً وان يكتنفها الغموض والابهام حتى تصبح موضوعا قصصياً طريفاً تحمل عليه الاقاصيص وتنسج حوله الاساطير) .

هنا ارجو ان تسمح لي يا دكتور ان اناقشك على هـذه النقطة نقاشاً هادئاً فاقول: انك اجنبي عن الاحاطة بسيرة الاستاذ والتلميذ . اجنبي عن الموضوع بتاتاً حين قلت (وان يكتنفها

الغموض والابهام) وهل هناك ما يستوجب الغموض والابهام والآثار ناطقة والسيرة شاهدة على عدم ذلك ، ولكن الغموض والابهام تولدا من عدم خبرتك واطلاعك على سيرتها . .

لقد استمرت المحبة والعلاقة طيلة حياتها ولم يعكر صفوها شيء يفضي الى المقاطعة والبرودة بالنظر الى ما اخذناه من اقوالها ومما وقفنا عليه من آثارها ، وهذا العلامة بحر العلوم نقرأه من ديوانه المخطوط بيده والمثبت في اوله ختمه والذي نحتفظ بـه ، يؤكد بأن العلاقة الودية استمرت بينها الى آخر ساعة من حياة المترجم له ، ونراه يهنيه بعد عودته من سفر بقصيدة تخلص فيها الى مفاخرة أحد اخدانه من الشعراء العلماء وهي طويلة اليك المطلع : . .

رعى الله بذاك الحي خودا سبت البدر اذا ابدت خدودا

وانت تؤمن بهذه المرحلة من حياتها . اما ايانك بمصير تلك المحبة والى أين انتهت فمفقود ، ولكن الديوان يحدثنا بعد أن نقف على مقاطيع متبادلة بينها الى سنة وفاة الشيخ عباس والى اثبات مرثية عصماء تزيد على ثمانين بيتاً يرثي بها الاستاذ بحر العلوم تلميذه المذكور فيقول في مطلعها :

رزء كسى العلياء ثوب حداد ورمى من الاسلام أي عماد

تلك المرثية التي اشرت اليها في النقدة الثانية من مؤاخذاتك التي كانت سبباً لاخفاق الاستاذ (م) في مجلة البطحـاء حين ناصرك وهو لا يعلم معنى النصرة كما لم يعرف كيف النقد فيتصور اني سقتها اليك كدليل على شاعرية بحر العلوم في الوقت الذي قدمتها كدليل يوضح مكانة التلميذ من نفس استاذه حين اتهمته أنت بشرب الخمر .

في هذه المرثية سيتجلى لك يا دكتور ومن ناصرك انكما تجهلان كل الجهل مقام الشيخ عباس ومنزلته من نفوس العظماء وخاصة استاذه الجليل بحر العلوم فاسمعه يقول :

أصمت فوادحه الرشاد فبددت اركانه بالرغم أي بداد
هل ذاك نفخ الصور قد صرت بنا زعقاته أم ذاك صرصر عاد
جلل عرى فرمت سهام خطوبه دين النبي ومعشر الأمجـاد

تأملت هذه الابيات وكيف صاغها ناظمها وبأي دافع ، ثم اسمعه يقول :

هاتيك غرّ الاكرمين لوجدها تذري المدامع من دم الاكباد
ثكلى ومن فرط الجوى احشاؤها ابداً ليوم الحشر في ايقاد

منها :

لله رزء اججت نيرانه قلب الورى من حاضر اوباد
رزء الفتى السامي ابي الفضل الذي حاز الفضائل من لدى الميلاد
من فاق ارباب العلى بمفـاخر علم واخلاق وبسط اياد
ذات سمت فحوت مناقب جمة أعيت عن الاحصاء والتعداد
قس البلاغة في الورى بل لم يقس كلا بسحبان وقس اياد
ومهذب مزج القلوب بوده مزج الاله الروح بالاجساد
ذاك الذي شرك الانام بماله لكن تفرد في هدى ورشاد
فقضى وانفس زاده التقوى وهل للمتقين سوى التقى من زاد

قل لي بربك هل ان هذه الشهادة من السيد بحر العلوم في مثل هذا الموقف الرهيب الذي يتمثل فيه للزائي شبح الموت المريع والذي تجرد فيه الانسان عن كل شيء من ادران الحياة وأوظارها بالاضافة الى انه زعيم ديني وقائد جماهيري يقول : فقضى وانفس زاده التقوى : لا يؤخذ بقوله : ويؤخذ بقول عبد الباقي العمري من بيت واحد وهو يعابث به . لا الومك لأنك تجهل الموضوع وفقير من ناحية المصادر . وهاك يا دكتور فاسمعه وهو يخرج قلبه في خلال ابياته فيقول :

لو يفتدى لفديته طوعا بما ملكت يدي من طار في وتلاد
لكن اذا نفذ القضاء فلا ترى تجدي هنالك فدية من فاد
خنت الذمام وحدت عن نهج الوفا ان ذقت بعد نواه طعم رقاد
وسلوت مجدي ان سلوت مصابه حتى الاقيه بيوم معـاد
لي كانت الايام اعياداً به واليوم عدن مآتما اعيادي
قد كنت انشد فيه غرّ مدائح واليوم عاد مراثياً انشادي
اصفيته دون الانام ألود إذ كان الحرى وحده بودادي
فتعلقت شغفاً به الاحشاء بل ملكت يدا عليا فضل قيادي
لحته عيني فابتلت كبدي به ان العيون بلية الاكبـاد
ذخري ومن حذري عليه كنزته تحت الثرى عن أعين الاشهاد الخ

اعتقد انك يا دكتور آمنت بانك واهم فيما كتبت وبعيد عن الصواب فيما قلت ، والى اللقاء في العدد القادم .

علي الخاقاني